



مدخل:

لقد نزل الإسلام العظيم لتحرير الإنسان من كل عبوديةٍ لغير الله عز وجل، ولتحرير الإنسانية من المظالم التي تقع بين أممها وأفرادها نتيجة الخروج عن المنهج الرباني العادل الصالح لكل زمانٍ ومكان.. وقد أصلَّى ديننا هذا كله عبر أصولٍ ثلاثةٍ تحدثنا عنها في مناسباتٍ سابقة، نذكرها هنا للبناء عليها:

1- الأصل الأول أو الهدف الذي ينبغي تحقيقه، لتحقيق العدل والسعادة والرخاء للإنسان، وهو: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).. الذي يعني بإيجازٍ شديد: لا واسع لمنهج الحياة إلا الله، ولا مشرعٌ لدستور الحياة وقوانينها إلا الله، فهو الإله والربُّ الذي ينبغي على الإنسان أن يطيعه ويعبده وينفذ أوامره ومنهجه.. وإن لم يفعل الإنسان ذلك، فإنه سيحول نفسه إلى عبدٍ لغير الله عز وجل، الذي سيكون في هذه الحالة.. الربُّ المزيّف الذي يضع للناس من عنده منهج الحياة ودستورها وقوانينها الملائِي بالآخطاء، وبالتالي الملائِي بالظلم، فيحل الشقاء والتعاسة والظلم.. بدل السعادة والرخاء والعدل.

2- الأصل الثاني أو وسيلة تحقيق الهدف، وهو: الجهاد في سبيل الله، بكل أنواعه وأقسامه.. التي تتراوح من الجهاد بالقلب إلى الجهاد باليد والنفس.. وما بينهما من جهاد النفس والقلم وأساليب الدعوة المختلفة إلى الله ودينه القويم ومنهجه الصحيح الوحدِي الشامل.

3- الأصل الثالث أو المحرّك الدائم أو اليوم الآخر، الذي يحرّك الإنسان المؤمن للسعي باستمرارٍ إلى تحقيق هدف الإسلام في الأرض.. وهو اليوم الذي فيه يُكافأ من يؤدي الأمانة على خير وجه، ويُعاقبُ الذي يقصر في تأديتها ويتناقض عن تحرير نفسه وشعبه وأخيه الإنسان.. من كل أنواع العبودية لغير الله عز وجل.

تلك إذن.. كانت أصول إسلام الثلاثة، التي ينبغي أن ينطلق منها المسلم المؤمن.. لكن الله عز وجل وضع لنا إلى جانبها أركانًا خمسة، هي: الشهادة، والصلوة، والصيام، والزكاة، والحج.. هذه الأركان الخمسة تهدف إلى ما يلي:

1- توفير التربة الصالحة للمؤمن بشكلٍ مستمر.. لتغذيته بالزاد المهم الضروري، للسعي باستمرارٍ إلى تحقيق الأصول الثلاثة المذكورة آنفًا.. في نفسه، وفي كل مكانٍ يستطيع الوصول إليه.. لنجد أنه يتذكر دائمًا بأن لا إله إلا الله، ولا وسيلة لتحقيق ذلك إلا الجهاد في سبيله، ولا شيء يحرّك النفس البشرية للسعي في سبيل الله لتحرير البشرية إلا التذكر بأن هناك يوماً آخر، فيه يُتاب الناس على التزامهم بتأدية الأمانة الموكلة إليهم من قبل ربهم عز وجل.. أو يعاقبون على تفريطهم وتقاعسهم عن ذلك!..

2- وحمل الإنسان المؤمن على تبني منهج الله عز وجل، وبشكلٍ دائم، وبأفضل صورةٍ ممكنة.. وتنفيذ ذلك المنهج الرباني في شؤون الحياة كلها!..

قد نتحدث عن الأركان كلها في مناسباتٍ أخرى.. لكننا هنا سنتحدث عن ركن واحدٍ فحسب، هو ركن: الحج، ل المناسبة التي تبدأ خلال أيام قليلة بإذن الله سبحانه وتعالى.

* * *

الحج.. ذلك المؤتمر الإسلامي العالمي الذي يجتمع فيه مسلمون من كل بقاع الأرض، وفيه يعايد المسلم ربّه على السير لتحقيق هدف الإسلام في الأرض.. وعلى الجهاد الدؤوب بشتى أنواعه.. لنشر الإسلام، وتحرير المسلمين بل البشرية كلها.. من ربة الظلم والاضطهاد والإذلال!..

خلال الحديث عن الحج وشعائره.. لن نتعرّض للأحكام الفقهية والفوائد الثقافية والسياسية والأخلاقية من الحج.. فقد أبدع فقهاء الأمة ومفكروها - مشكورين - في الحديث عن تلكم الأمور.. لكننا سنقدم حلقاتنا بأسلوبٍ تحليليٍ تأمليٍ لكل شعيرةٍ من شعائر الحج.. فنكشف كنهها وهدفها.. ولنربط بينها جميّعاً.. ونخلص إلى نتائج مهمّة.. كانت هي الهدف الذي فرض الله لأجله الحج على المسلمين، ركناً من أركان دينهم العظيم القويم!..

إذن، لنقف معًا عند نفحاتٍ وتأملاتٍ إيمانية.. فننزل الستار عن عظمة ديننا وشعائرنا الإسلامية.. التي تسبر أغوار النفس الإنسانية للMuslim.. فتجعله يجيب على السؤال الكبير:

لماذا فرضت هذه الشعائر، وما حقيقتها وأهدافها.. ثم ما الهدف الكبير من ركن الحج كله؟!..
إذا صنّفنا شعائر الحج.. فسنجد أنه يتكون من الشعائر الأساسية الآتية:

- 1- الإحرام.
- 2- التلبية.
- 3- الطواف.
- 4- السعي.
- 5- الوقوف بعرفة.
- 6- النحر.
- 7- رمي الجمرات.
- 8- الإقامة في (منى).

للتقي نظرةً تأمّليةً تحليليةً على كل شعيرةٍ من الشعائر المذكورة آنفًا :

أولاً : الإحرام خطوة تجهيزية:

في بداية الحج، يجد الحاج المسلم نفسه أمام أول شعيرةٍ من شعائره، هي الإحرام، فيتحلّل من الثياب المخيبة، وينظّف جسده نظافةً تامةً، ويكشف رأسه، ثم يضع على بدنـه - ليسـترـه - قطعـتـي قماشـ بسيـطـتينـ غير مخيـطـتينـ!.. لا يجوز للمُحـرمـ أن يـخـاصـمـ أحدـاـ منـ النـاسـ.. كماـ لاـ يـجـوزـ لـهـ أـنـ يـقـصـ شـعـرـهـ أوـ ظـافـرـهـ، وـيـحـرـمـ عـلـيـهـ الصـيدـ فـيـ الـحـرـمـ، أوـ اـقـتـرافـ أيـ منـ السـيـئـاتـ، كـماـ يـحـرـمـ عـلـيـهـ التـطـيـبـ بـالـعـطـرـ، أوـ مـارـاسـةـ الـحـيـاةـ الـزـوـجـيـةـ!.. نـحنـ إـذـنـ أـمـامـ شـعـيرـةـ بـيـدـاـ فـيـهاـ الـموـسـمـ الـتـعـبـيـ الـحـجـ، وـهـنـتـيـ يـكـونـ تـنـفـيـذـهـاـ صـحـيـحاـ وـكـامـلاـ، وـحـسـبـ ماـ تـقـضـيـهـ أـوـاـمـرـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ.. يـنـبـغـيـ أـنـ يـقـومـ الحاجـ المـحـرـمـ بـمـاـ يـلـيـ:

1- الإقبال على الله عز وجل بنفس نظيفة، وجسمٌ نظيف، وروحٌ نقيةٌ طاهرةٌ محسنةٌ غير مذنبة!..

2- التجرّد الكامل من مفاتن الدنيا، ومن التمايز بين الناس الموجود عادةً في الحياة العادلة، ومن الانشغال عن هدف الحج والعبادة والتذلل إلى الله عز وجل خالق الخلق وحده.. بأي عملٍ أو تصرفٍ مهما كان صغيراً، حتى لو كان قصّ شعرٍ أو تقليم ظفر!..

هـنـاكـ إـذـنـ.. تـوـجـهـ كـامـلـ بـكـلـ الـجـواـرـ، وـتـرـكـيـزـ كـامـلـ بـكـلـ الـمـظـاهـرـ الـداـخـلـيـةـ وـالـخـارـجـيـةـ لـلـنـفـسـ الـبـشـرـيـةـ، وـتـهـيـئـةـ لـلـرـوـحـ الـإـنـسـانـيـةـ.. لـلـإـقـبـالـ عـلـىـ عـبـادـةـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ وـحـدـهـ، بـلـ حـوـاجـزـ وـلـاـ مـرـاسـمـ وـلـاـ أـيـ أـمـرـ شـاغـلـ لـلـنـفـسـ عـنـ هـذـاـ إـلـقـابـ الـنـقـيـ الصـافـيـ بـاـتـجـاهـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ.. فـهـيـ الـخـطـوـةـ الـأـوـلـيـ التـمـهـيـدـيـةـ لـمـاـ سـيـتـبـعـهـ وـيـؤـازـرـهـ مـنـ خـطـوـاتـ!..

ثانياً : التلبية تأكيد على أنَّ الحج لله عز وجل وحده لا شريك له:

منذ الإحرام ودخوله الحرم الشريف.. يبدأ الحاج بالتلبية ويبقى يلبي حتى آخر فترة الحج تقريباً (حتى رمي الجمرة الأولى).. فيرفع صوته بالنداء حتى يبحّ صوته، كما كان يفعل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما كان يأمرهم رسولنا وحبينا عليه أفضل الصلاة والسلام:

لـبـيكـ اللـهـمـ لـبـيكـ..

لـبـيكـ لـاـ شـرـيـكـ لـكـ لـبـيكـ..

إـنـ الـحـمـدـ وـالـنـعـمـةـ لـكـ وـالـمـلـكـ..

لـاـ شـرـيـكـ لـكـ.

لـنـتـخـيـلـ الـمـشـهـدـ الـعـظـيمـ :

كل المؤمنين المتوجهين إلى بيت الله الحرام، من كل أصقاع الأرض وأركانها.. يهتفون بذلك الهاتف الحال، فيقولون ويعلنون :

جـئـنـاـ يـارـبـ الـأـرـبـابـ، وـيـاـ خـالـقـ الـخـلـقـ كـلـهـ، جـئـنـاـ تـلـبـيـ نـداءـكـ، فـأـنـتـ رـبـنـاـ وـحدـكـ لـاـ نـعـبـدـ إـلـهـاـ لـاـ رـبـنـاـ سـواـكـ، وـلـاـ نـسـتمـدـ مـنهـ حـيـاتـنـاـ إـلـاـ مـنـكـ، وـنـعـاهـدـكـ عـلـىـ المـضـيـ قـدـمـاـ لـتـحـقـيقـ حـكـمـكـ وـحـاـكـمـيـتـكـ وـتـنـفـيـذـ شـرـعـكـ.. وـنـحـمـدـكـ يـاـ رـبـ الـعـزـةـ عـلـىـ كـرـمـكـ مـعـنـاـ وـمـنـحـكـ إـيـانـاـ مـنـهـجـكـ الـعـظـيمـ.. فـهـيـ نـعـمـتـكـ الـتـيـ لـاـ تـقـرـرـ بـثـمـنـ.. وـنـحـنـ يـاـ رـبـ طـوـعـ أـمـرـكـ، وـرـهـنـ إـشـارـتـكـ، نـنـذـ مـاـ تـأـمـرـنـاـ بـهـ مـنـ غـيرـ تـلـكـ أـوـ كـلـ أـوـ مـلـ أـوـ تـقـصـيرـ.. فـأـعـنـاـ يـاـ رـبـنـاـ عـلـىـ ذـلـكـ، فـأـنـتـ خـيـرـ مـعـيـنـ!..

فالتلبية هتف المسلم الحال، الذي يعلن فيه المؤمن أنه ما أتى إلا لتنفيذ أمر إله السماوات والأرضين وحده.. وأنه قادم ليعلن عبوديته له وحده، في كل أمرٍ من أمور دنياه، فهو الخالق، وهو الحكم وحده.. ويعاهده على الجهاد في سبيله وحده، بكل الأساليب الممكنة، حتى يتحقق هدف الإسلام في الأرض.. فتحتحقق العبودية التامة في الأرض كلها لرب الأرباب، الإله الواحد الأحد، الفرد الصمد!..

ثالثاً : الطواف حول قبلة المسلمين ووجههم أينما كانوا في الأرض كلها:

الكعبة المشرفة هي قبلة المسلمين التي يتوجهون إليها في صلواتهم كلها، وذلك من أي مكانٍ في أصقاع الأرض وأقطارها.. هذه الكعبة الشريفة يأتي إليها الحاج المؤمنون ملَّين، ليطوفوا حولها سبعة أشواط، متذكرين أنَّ هذه الكعبة قد بناها لهم أبو التوحيد والعبودية لله عز وجل وحده: سيدنا إبراهيم، مع ابنه إسماعيل عليهما السلام.. ليشعر المؤمن بمشاعر إيمانية خاصةٍ تجتاح كيانه، فهذه الكعبة ما بناها إبراهيم عليه السلام بأمر ربه سبحانه وتعالى.. إلا لتحقيق وحدة المسلمين في كل أقطار الأرض على هدفٍ واحد، وليعبدوا إلهًا واحدًا لا شريك له، وينبذوا كل الآلهة والأرباب المزيفين على مرّ التاريخ والعصور!..

يطوف المؤمنون وهو يهتفون هتاف رسول الله صلى الله عليه وسلم:
بسم الله، والله أكبر..

اللهم إيماناً بك..

وتصديقاً بكتابك..

وفاءً بعهدرك..

وابداعاً لسنة نبيك..

ثم يدعوا كل منهم ما يخطر في باله من أدعية، متوجهاً بقلبٍ صافٍ نقى إلى رب العزة جل جلاله، طالباً منه العفو والغفران، والتأييد والدعم في كل شؤون حياته!..

يطوف المؤمنون وفق دائرة لا تنتهي حتى تبدأ من جديد، معاهدن رب الأرباب جل وعلا بهتافهم المذكور الذي يعني: باسمك يا رب، يا أكبر من كل كبير، نعاهدك عهد الإسلام والإيمان، على أن نستمر معظم حياتنا بالحركة المستمرة والجهاد الدائم الذي يبدأ ولا ينتهي حتى تحقيق أهدافه، في تحرير الناس من العبودية لغيرك، وحتى يتهاوى كل طواغيت الأرض، وينتقل الناس من عبادة الطغاة والعباد.. إلى عبادة رب العباد والأرباب أجمعين وحده.. وسنورث أهدافنا إلى ذرارينا التي ستأتي من بعدها، لتستمر -بعد رحيلنا عن هذه الدنيا الفانية- حركةُ الجهاد إلى يوم القيمة.. فيبقى كتابك الكريم هو الحكمُ
الوحيد الشامل لحياة البشر، تدعمه سنة نبيك وحبيبك محمدٌ صلى الله عليه وسلم.. يا رب الأرباب: نعاهدك على كل ذلك، عهد التصديق والوفاء والإيمان!..

وقفة : تتمّات الطواف :

ثم يصلى الحاج المؤمن عند مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام، باني الكعبة قبلة المسلمين، والمؤذن للناس بالحج، وداعيهم للقدوم إلى هذا اللقاء العالمي الواسع من كل أقطار الأرض وأركانها، ليجددوا عهدهم عند بيت الله الحرام، بالاستمرار في الحركة والعمل والجهاد حتى تكون كلمة الله هي العليا، ويكون دينه ومنهجه هو المحكم بين الناس، ويزال كل طاغوتٍ في الأرض إلى يوم الدين!..

وينزل الحاج بعد ذلك إلى بئر زمزم، ليعبَّ من مائها المبارك، ويفسُل رأسه.. فيتذكَّر معجزة الله عز وجل في تفجير مياه هذه البئر، إكراماً للسيدة هاجر زوجة إبراهيم عليه السلام، وإغاثةً لها ولولدها إسماعيل عليه السلام.. وما تزال هذه المياه المتفجرة متدفعَةً منذآلاف السنين.. تفجرت في صحراء قاحلة، واستمرت، وستستمر بإذن الله.. فشرب منها ملايين الملايين.. وسيشرب منها ملايين أخرى وأخرى.. يتذكَّر الحاج المؤمن بكل ذلك، أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، وهو وحده ناصر المؤمنين وقاهر الجبارين مهما بلغت قوتهم.. وكما تفجر المستحيل بتفجير ماء زمزم واستمرار تدفقه.. فسيزبغ فجر الإسلام والمسلمين من أعماق المحنَة والإحباط.. وكما أغاث الله جل وعلا السيدة أم إسماعيل ولولدها إسماعيل عليه السلام، في مكانٍ وقتٍ لا يمكن فيها بمعايير البشر.. أن تم الإغاثة.. فهو سبحانه وتعالى سُيُّغث

المجاهدين في سبيله بنصرٍ وفتحٍ من عنده، يتحقق من أعماق المعاناة وحلقة الظلام، مهما اشتد اسوداداً وMaisawiyah!..

رابعاً : السعي بين الصفا والمروءة تجديد للعهد مع الله عزّ وجلّ:

ينطلق الحاج المؤمنون إلى المسعى، فيحيّون السير سبعة أشواطٍ أيضاً بين جبلي الصفا والمروءة.. إذ يرتفون الصفا هاتفين بأعلى أصواتهم:

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَنَصْرٌ عَبْدَهُ، وَهَزْمٌ الْأَحزَابَ وَحْدَهُ).

ثم يهتفون مثل ذلك أيضاً عندما يرتفون المروءة..

وهكذا في كل شوط، سبع مراتٍ متتاليات، نهاباً وإياباً.. يرتفون جبلاً، ويهبطون وادياً، ويسيرون في سهل.. يمشون تارةً، ويُسرعون ثانيةً (بين الميلين الأخضرتين).. إلى أن ينتهيوا من أشواطهم السبعة، داعين الله عزّ وجلّ ومسبحين ومُلَبِّين.. وكأنهم يجددون عهدهم مع الله جلّ وعلاً ويؤكّدون عليه.. إنه عهد العمل والجهاد والدأب المستمر في سبيل الله سبحانه وحده.. فما إن يبدأ المسلم المؤمن بالسعي فيقطع مرحلةً من مراحل عمله ودأبه لنصرة دينه.. حتى يعود إليها من جديد، ليتفقد ما أنجز.. فيسدد ويصوّب ويؤصل.. ويتأكد من ثباته على الطريق المستقيم القويم، من غير انحرافٍ أو ابتعادٍ عن هدفه أو ثوابته.. يفعل ذلك ملبياً هاتفاً بوحданية الله عزّ وجلّ، معاهاً على التزام أوامره واستمرار دأبه طوال حياته كلها.. مبتدئاً من مرحلةٍ ثم متقدلاً إلى التي تليها بثباتٍ وعزّمٍ متجدداً.. إلى أن يحقق هدف الإسلام في الأرض، ويحقق الحاكمة لله جل جلاله.. وهكذا يعاود ويصحّح ويصوّب خطاه باستمرار.. متفقاً ما بني، متأكداً من حسن ما صنع، مستمراً في طريق الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، من غير كلٍّ أو ملل، يقطع بهدوء مرحلةً وراء مرحلةً، وبثباتٍ ويقينٍ وإيمانٍ مطلقٍ بأنَّ الخاتمة للمؤمنين، والعاقبة للمتقين، والنصر للمجاهدين العاملين.. وفي ذلك تتم إزالة كل طواغيت الأرض (هزم الأحزاب وحده)، وإقامة منهج الله عزّ وجل (نصر عبده)، وزوال كل جبارٍ في الأرض يستبعد الناس.. فيتحرر البشر من تسلط طواغيتهم، ويتجوّهون إلى الله عزّ وجل ربِّهم وإلههم متساوين، يسودهم حُكمُ العادل، ويسوسهم خيرهم ديناً وعزيمةً وكفاءةً وتقوى، وتحقيق كرامتهم من غير تفريقٍ بينهم.. وتستمر بهم حال العدل والمساواة والتكريم إلى آخر الحياة!..

خامساً : الوقوف بعرفة تتویج لإعلان العبودية لله عزّ وجلّ وحده:

هناك.. في عرفات.. يُتمّ البناء، وتكتمل حلقة التوجّه إلى خالق الخلق أجمعين.. التي تبدأ من اللقاء بالصلاحة جماعةً في مسجد الزقاق، ثم بصلاة الجمعة في مسجد الحي، ثم بصلاة العيد في مُصلى المدينة.. وهاهو ذا العالم كله يلتقي الآن هنا في عرفات!.. حيث يتجلّى الله تبارك وتعالى على عباده، فيباهاي بهم ملائكته، فهوّلأه هم المؤمنون جاؤوه شُعْتاً غُبراً يعاهدونه على الجهاد في سبيله، وفي سبيل تنفيذ أوامره في الأرض كلها، والاستمرار على حياة الدعوة والعمل والجهاد حتى الموت!.. هناك.. في عرفات.. يحتشد ملايين الناس: بلباسٍ واحد، وحالٍ واحدة، وتهليلٍ واحد، وتكبيرٍ واحد، وتلبيةٍ واحدة.. وذلك كله أمام ربٍ واحدٍ لا شريك له، يعاهدونه عهد الإيمان والإسلام على السير وفق منهجه ودستوره وشريعته التي وضعها لهم!.. هناك.. في عرفات.. تنتهي الحدود، وتُزال الفوارق بين البشر والأجناس، وتزول المراتب والدرجات الدنيوية، وتموت المسافات.. فلا تفاضل هنا إلا بالقوى!..

يهتف المؤمنون كلهم بشعار الإسلام الخالد:

(لَبِيكَ اللَّهُمَّ لَبِيكَ، لَبِيكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبِيكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ).

هو عهد دائمٍ، يتجدد في كل خطوةٍ ومرحلة: ستحقق الهدف بإعلاء كلمة الله رب الأرباب كلهم، وستُزيل كل طاغوتٍ في الأرض، وسُنُّحرُ أنفسنا والناسَ جميعاً من كل ظلم!..

ويزيد المؤمنون على ذلك بالتكبير:

(الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر).

ليؤكّدوا أنَّ الله أكْبَرُ من كلِّ كَبِيرٍ، وأكْبَرُ من كلِّ ربٍ مزِيفٍ، وأكْبَرُ من كلِّ جَبَارٍ فِي الْأَرْضِ، وأكْبَرُ من كلِّ طاغِيٍّ يَحْكُمُ بغير ما أنزل سُبْحَانَه وَتَعَالَى!..

في عرفات.. من المفترض أن يخطب في الناس خليفتهم وإمامهم أمير المؤمنين، أو مَن يوكّله بذلك.. فيرحب بهم في رحاب الله عز وجل، وينذّرهم بعهد الله عليهم، بأن لا يُشْرِكوا به أحداً، وأن لا يرضوا بأن يُشْرِكَ أحدٌ به في الأرض كلها.. أما المستمعون إلى الخطبة، فهم المندوبون عن الشعوب في كل مكانٍ في العالم!..

هناك.. تلهم القلوب بالدعاء والثناء على الله تبارك وتعالى، فتصل إليه الدعوات والرجاءات فوراً من غير وسيط أو واسطة.. ويستمر الدعاء من بعد الزوال حتى غروب الشمس.. وخير ما دعا به رسولنا وحبيبنا صلَّى الله عليه وسلم، ذلك العهد على تحقيق هدف الإسلام في الأرض:

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحِبِّي وَيُمِيَّثُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

في عرفات.. يتحقق الموقف العظيم، لأنَّ اللقاء الحي مع الله جَلَّ وَعَلَى الذِّي يَتَجَلَّ عَلَى النَّاسِ.. فَيَقْبَلُ مِنْهُمُ الْعَهْدَ، وَيُبَاهِي الْمَلَائِكَةَ بِعِبَادَتِ الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِينَ.. إِنَّ الْلَّقَاءَ الْعَظِيمَ بَيْنَ اللَّهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: يَقْدِمُونَ لِهِ الْعِبَادَةَ، وَيُقْدِمُ لَهُمُ الْكَرَامَةُ وَالْحُرْيَةُ.. يَعْاهِدُونَهُ عَلَى الْمُضِيِّ قُدُّمًا فِي طَرِيقِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، فَيَبْارِكُهُمْ وَيَبْارِكُ عَهْدَهُم.. يَعِدُوهُنَّ بِالطَّاعَةِ الْكَاملَةِ، وَيَعِدُهُمْ بِالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ!..

ثم يزحف الناس عند الغروب إلى (مزدلفة) أو (المشعر الحرام).. ثم إلى (منى) لرجم الشيطان الرجيم.. يزحفون متزاحمين بالأكتاف اللينة، والقلوب الصافية، والأرواح الحانية، والعزم الشديد، والإصرار العنيد على المضي في طريق الله عز وجل.

سادساً : رمي الجمرات براءةً من الشيطان اللعين:

يرتاح الحاج المؤمنون المسافرون في (منى)، فهي محطة تفصل ما بين مكان العهد مع الله عز وجل في عرفات، وبين بقية أنحاء الدنيا التي سينفذ فيها ذلك العهد الوثيق!..

ومن (مزدلفة) يجمع المؤمنون الحصيات التي سيرجمون بها إبليسَ اللعين، زعيم الطواغيت وربهم المزيف الأكبر.. وبذلك، فالمؤمنون بعد أن عاهدوا الله سبحانه وأعطوه الميثاق الغليظ بأن يعبدوه وحده لا شريك له.. يتوجهون لتأكيد عهدهم وميثاقهم الغليظ.. يتوجهون للبراءة من الشيطان الرجيم، والوسواس الخناس، الذي يفتّن الناس ليحرفهم عن طريق الحق!.. من بوابة (منى)، ما بين مكان العهد المبرم مع الله عز وجل وبين أمكنته تنفيذه.. يلح المؤمنون مؤكدين طاعتكم لله جل وعلا القاهر الحق، ومتّهِئين لبراءتهم من الشيطان اللعين زعيم الباطل، وذلك بجمع الحصيات التي سيرجمونه بها!..

سابعاً : النحر إِرَاقَةً لِلَّدَمِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ:

يتوجه الحاج المؤمنون بعد ذلك إلى (المنحر)، ليُرِيقُوا أَغْلَى شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.. لِيُرِيقُوا الدَّمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَ.. رمزاً على أنَّ الدَّمَاءَ أَرْخَصُ مِنَ الْمَبَادِئِ وَالْعَقِيْدَةِ، فَدُونَ إِسْلَامَنَا وَمِنْهُجَنَا.. دَمَأْنَا وَأَرْوَاحُنَا رَخِيْصَةً.. فِي سَبِيلِ الْحَيِّ الْقَيْوَمِ جَلَ جَلَّ، وَفِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ مَنْهَجِهِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ فِي الْأَرْضِ كُلَّهَا!..

ثم يتوجهون إلى مكة ليطوفوا ويسعوا من جديد.. لتجديد العهد وتأكيده مع الله عز وجل، بأننا: على الحق سائرون، وإلى تحقiqه ساعون، وفي سبيلك يا رب الأرباب مستمرون، وعلى هديك ماضون!..

ثامناً : العودة إلى (منى) استعداد لدخول أروقة الدنيا ودار الامتحان الكبير:

ثم يتوجه الحاج المؤمنون إلى منى للإقامة فيها يومين أو ثلاثة من أيام العيد.. وتلك فترة أكْلٍ وشُرْبٍ كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيها يتحلّل المؤمنون من ثياب الحج الخاصة، ويرتدون ثيابهم العاديَّة التي سيعيشون بها في دنياه.. وفيها يأكلون من لحوم ضحاياهم التي أراقوا دماءها لله عز وجل، وفيها يتعلّمون، ويستعدّون لدخول أبواب الدنيا المختلفة،

برفض مناهج الشيطان وتلامذته من الطواغيت والأرباب المزيفين المتسلطين على رقاب الناس.. وذلك بترجم زعيم الباطل إبليس اللعين، سبعاً.. سبعاً، في كل يومٍ عند العقبات الثلاث.. يرجمونه وهم يصرخون: (باسم الله، والله أكبر).

فمؤكّدون بذلك أن: (باسم الله) نرميكَ ولن نعمل بما تُوحِيه إلينا أو توسم به أيها الباطل اللعين.. (والله أكبر) منكَ ومن كيدكَ أيها المزيف الرجيم!..

بعد ذلك يغادرون إلى مكة ليطوفوا فيها طواف الوداع، مؤكّدين عهد الله للعمل الدائب في سبيله.. موعدُين بيته الحرام ورمزاً توحيدَه، ثم متوجّهين من جديدٍ إلى بلادهم وديارهم المتناشرة في كل أرجاء المعمورة، حمماً لدینه، دُعاً لمنهجه، وجندوا لإعلاء كلامته في كل بلدٍ وركنٍ من بلاد الأرض وأركانها!..

تاسعاً : زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بلغ الناس دينهم:

إنها المحطة المهمة التي يتوقف فيها الحاج في ذهابه وإيابه، أو في أحدهما.. فيزور مسجد الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة.. **يزور المجاهد الأول الأعظم الذي بلغ رسالة رب الناس، وجمعهم عليها، فبلغت ثمار جهده وجهاده أقصى الأرض، فقضى على كل طاغوتٍ يحكم بغير ما أنزل الله عز وجل، وأزاح كلَّ ربٍ مزيفٍ يستعبد الناس، ويُذلّهم، ويمتهن كرامتهم، وينتهك حرمتهم!**

وهناك في مسجده صلى الله عليه وسلم.. يجد المؤمن إلى جانبه صاحبيه الحبيبين: أبا بكرٍ وعمر بن الخطاب رضوان الله عليهما، وال الخليفيَّتين الراشدَيْن اللذَّين سارا على نهجه وخطوه عليه الصلاة والسلام، ونفذَا أوامره وشرعه في الأرض، إلى أن صار الإسلام ظاهراً على كل المناهج البشرية الوضعية الضالة، فانذر الطغاة مستعبدو الأمم والشعوب، وتحرر الناس بالإسلام في عهديهما رضي الله عنهما.. من طواغيت الأرض الضالين المضللين!..

عاشرًا : العودة إلى الوطن بمغفرة ربانية وعزيمة لا تلين:

يعود الحاج المؤمنون إلى أوطانهم المختلفة، وفي طريق عودتهم كلما ارتفعوا جبلاً، هتفوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له (الهدف)، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كل شيءٍ قادر (لا يفلت من حسابه أحدٌ من الخلق).. آبونا تائبون (من تقصيرنا الذي مضى)، عابدون ساجدون لربنا حامدون.. صدق الله وعده (وسيصدق حتماً في كل حين).. ونصر عبده (وسينصر عباده دائمًا).. وهزم الأحزاب وحده (وسيهزمه في كل وقتٍ وعصرٍ وحين)!..

النتيجة الإجمالية من الحج وشعائره:

لقد فرض الله عز وجل الحج مرّة واحدةً في العمر، وسنّ رسولنا وحبيينا صلى الله عليه وسلم الحج مرّة كل خمس سنوات، ويأتي موسم الحج بعد موسم الصيام وشهر رمضان بقليلٍ من الوقت، الذي فيه يستعدّ المسلم استعداداً إيمانياً راقياً طوال شهرٍ كامل، فيجد نفسه قريباً من ربه سبحانه وتعالى، متّهياً نفسياً وإيمانياً للحج وشعائره!..

في الحج.. نجد أنفسنا أمام تحركٍ شعبيٍّ جماهيريٍّ واسع، على مستوى الإنسانية كلها.. يهتف ملايينه بهتافٍ واحدٍ وشعارٍ واحدٍ: (لبيكَ اللهُمَّ لبيكَ...).. فيه يجتمع الناس طائفين وساعين وواقفين بعرفة ومتّارفين وراجمين للشيطان الرجيم.. معاهدٍ إلهًا واحدًا هو الله جل وعلا، على المُضيّ في طريقٍ واحدٍ، لتحقيق هدفٍ واحدٍ، والاستقامة على منهاجٍ واحدٍ، والجهاد في سبيل تحرير الإنسانية، ونقل شعوبها من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، حتى يسجدَ سكانُ الأرض كلها لله عز وجل وحده، وحتى تُزال الطواغيتُ في كل مكان، فتحرر الناس من كل بغيٍّ وطغيانٍ، حتى لا تكون فتنه، ويكون الدين كله لله جبار السماوات والأرض!..

في الحج.. يشعر الإنسان المؤمن بعزة المبدأ، وعزّة الانتماء، وعزّة الأمة التي كانت خير أمّة أخرجت للناس.. وفيه.. تزول الحدود في نفس المؤمن، وتتصبّح نظرته إنسانيةً واسعةً عالميَّة شاملة، بدل أن تكون محليةً محدودةً ضيقَة.. فيتحرر من

عُقدَتْ المُحْلِيةُ الْخَاصَّةُ أَمَامَ الْحَلِّ الْعَالَمِ الشَّامِلِ لِلْعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ وَالْعَالَمِ كُلِّهِ.. فَيَنْقُلُبُ يَأْسُهُ أَمْلًا، وَإِحْبَاطُهُ هَمًّا، وَأَمْلُهُ
الضَّعِيفُ أَمْلًا عَظِيمًا.. وَيَقْتَنُعُ بِأَنَّ الدُّنْيَا كُلُّهَا هِيَ الْمَيْدَانُ الْحَقِيقِيُّ لِجَهَادِهِ وَدَأْبِهِ وَدُعُوتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا مَا سُدَّ
مِنْ أَمَامِهِ مَنْفَذٌ أَوْ مَيْدَانٌ، فُتَحَّتْ لَهُ مَنَافِذٌ وَمِيَادِينٌ أَوْسَعَ وَأَرْحَبَ عَلَى مَسْتَوِيِّ الْأَرْضِ كُلُّهَا.. وَالثَّمَارُ سُتُونٌ عَلَى مَسْتَوِيِّ
الْإِنْسَانِيَّةِ كُلُّهَا.. لِلَّهِ سُبْحَانُهُ وَتَعَالَى، وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِدِينِهِ الْعَظِيمِ الْقَوِيمِ، وَلِأَمَّةِ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.. مُهِمَا
تَبَاعِدُ الْمَسَافَاتُ.. فَلَا شَكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُظْهِرُ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ!..

(بُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمٌّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (الصاف:8)

مشاركات نور سوريا

المصادر: